96 - 2 - 090

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بالمنصورة

نظرات في وساطة القاضي الجرجاني

دكتور
عبد اللطيف محمد السيد الحديدي
الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء :

إلى من كان بحق من أطهر الناس قلبا ، وأحسنهم خلالا ، وأكرمهم فعالا ، وأنقاهم سيرة ، وأطيبهم سريرة ، إلى والدّى : قدس الله ثراهما ، وأنار مرقدهما ، وفى نعيم الجنان أرقدهما ، إليهما معا أشرفُ بإهداء هذا الكتاب ، آملاً أن يكون مهاداً وثيراً يتوسدانه فى حفيرهما الطاهر ، وسائلا الحق جل وعلا أن يكلأهما برحمته ، وأن يسكنهما جنات وأنهر « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

المؤلف

د/ عبد اللطيف محمد السيد الحديدى

دنجواى / شربين / دقهلية

المقدّمة

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعـــد

فنظرا لما وصل إليه حال النقد الأدبي فى القـــرن الرابع الهجرى من ازدهار واختلاف النقاد فى موقفهم من الشعراء ، ما بين مؤيد لشاعر ومعارض له ، هذا يمدحه ويقرظه ، وذاك ينتقده وينتقصه دون توسط فى ذلك ، وكان هناك ثلة من النقاد البارزين والمتميزين فى ذلك القرن ، وفى طليعتهم - وإن كان أبرزهم وأصرحهم نقدا ، وأشملهم بحثا - كان القاضى الجرجانى ، الذى ألف كتابه الشهير المعـــروف بـ (الوساطة بين المتنبى وخصومه) .

ونظرا لهذا كله كان اختيارنا للقرن الرابع الهجرى ، ولأبرز كتاب لأبرز نقاده ، قاصدين دراسته وبحثه ، وإلقاء بعض النظرات على موضوعاته وفى قضاياه ؛ إذ يُعد أهم كتاب فى مجالى النقد والبلاغة فى القرن الرابع ، فهو يعتمد على أسس بلاغية فى نظريته النقدية ، ويتخذ منها وسائل لنقد شعر المتنبى ، فمباحثه البلاغية تعد من جهة جمعا للفنون البلاغية التى سبق إليها أو إنى أكثرها ، ومن جهة ثانية تعد تطبيقاً لما توصل إليه على النصوص الشعرية ، وإبراز ذلك فى صورة مقاييس نقدية ، ومن جهة أخرى إضافة ملاحظات عليها ردا ، أو قبولا ، أو توضيحا ، أو إبداعا .

ومجمل القول : إن البحث النقدى والبلاغى عند القاضى الجرجانى بحث فى غاية الأهمية فى تاريخ النقد والبلاغة ؛ لذا قلما نجد مؤرخاً للنقد أو البلاغة إلا ويتوقف عند وساطة الجرجانى توقفا طويلا ، ثم لا يلبث إلا أن يعرب

عن سعادته وإشادته بها ؛ ومن ثم سنحاول ـ بإذنه تعالى ـ فى هذا البحث أن نلقى نظرات على المباحث النقدية والأدبية والبلاغية ـ والتى هى فى حقيقتها أسس نقدية عند الجرجانى ـ فى هذا السفر الهائل .

ولاشك فى أن البحث فى وساطة الجرجانى شيق وممتع ؛ لما يتمتع به صاحبه من ذوق سليم ، ونظرات ثاقبة فى الأدب والنقد ، وبروز حس القاضى النزيه وروحه فى كتابه ؛ ولأن الكتاب يتناول شاعراً كبيراً عده النقاد والدارسون ـ قديما وحديثا ـ بحر العربية الهادر وشاعرها الفرد على الإطلاق ، ألا وهو أبو الطيب المتنبى .

والبحث حول شاعر كالمتنبى يكون ممتعا ومفيدا ، ممتعا للباحث ، ومفيدا للأدب والنقد معا ، ولسنا بعيدين عن الحقيقة إذا قلنا : إن المتنبى وضعت فيه وفى شعره مصنفات ورسائل لا حصر لها ، ولكن يأتى فى مقدمتها على الإطلاق كتاب (الوساطة) للقاضى الجرجانى .

لهذا كله ـ وغيره ـ فليس غريبا أن يقع اختيارنا على هذا الكتاب لنقوم بدراسة أهم موضوعاته ، وأبرز قضاياه ، آملين أن نضيف شيئا يوضح معالم هذا الكتاب ، وأهميته فى محيط النقد والبلاغة .

ولما كنا على قناعة بأن (الوساطة) قد درس فى بحوث ودراسات عديدة عمدنا إلى أن لا تكون دراستنا له دراسة نمطية حرفية من ألفه إلى يائه ، فيكون من شأنها الوقوع فى قبضة التكرار الممل والمخل ، إنما قصدنا إلى أن تكون الدراسة مجـــرد نظرات تقع على أبرز ما فى الكتاب وعلى ما يمكن أن نضيف فيه أو إليه شيئا ولو يسيرا ، آملين أن تحقق النظرات غايتها وأهدافها .

هذا وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تشتمل على مقدمة تبرز الدافع إلى اختيارها ، والغرض منها ، والتخطيط الذى احتواها .

وتلا المقدمة تمهيد جعلته تحت عنوان (الكاتب والكتاب) .

وعن الكاتب تحدثت ـ فى عجالة ـ عن مولده ونشأته ، ثقافته ، مصنفاته ، وأخيرا وفاته .

وأما عن الكتاب فبينت سبب تأليفه ، وأبرزت قيمته بين الكتب النقدية ، ثم عرضت لبيان منهج الجرجانى فى وساطته ، وكانت لنا بعض الآراء والتعليقات التى سجلناها على أقسام الكتاب ومباحثه .

ثم انقسمت الدراسة خمسة فصول ، أعقبتها خاتمة فقهرسان ، أحدهما للمصادر والمراجع والآخر للمحتوى أو الموضوعات .

أما عن الفصل الأول فعنوانه (البديع وقضاياه فى الوساطة) واشتمل على مبحثين ، الأول تناول موقف الجرجانى من قضية البديع فى عصره ، وجاء الآخر فعرض لفنون البديع من مثل :

الاستعارة ، الجناس ، المطابقة ، التقسيم ، الغلو والمبالغة ، الاستهلال والتخلص والخاتمة ، ومن خلال النصوص المعروضة بينا موقف الجرجانى من هذه القضية (قضية البديع وفنونه) وانتهينا إلى أنه كان يرفض الإفراط والتكلف فى البديع كالذى يوجد فى شعر أبى تمام ، وانتهينا كذلك إلى أنه ـ أى صاحب الوساطة ـ اعتمد على الفنون البديعية كأسس نقدية فى قياس شعر المتنبى وغيره .

وكان الفصل الثانى عنوانه (التشبيه ورؤية الجرجانى له) ضمنته الإضافات النقدية البديعة التى كانت للجرجانى فيه ، ومدى نظراته الثاقبة التى نهضت بتجسيد ذوقه الأدبى السليم ، وقدرته على قياس التشبيه بين القدماء والمحدثين قياسا صحيحا .

وقد تبين أن القاضى الجرجانى لم يعمد فى حديثه عن التشبيه إليه عمدا ،